فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله
يـــقـــدم

من سلسلة "كونوا ربانيين"

اقتضاء العلم العمل

(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ: أحمد جلال

رابط المادة: http://way2allah.com/khotab-item-100021.htm

فَهْم السلف لوجوب اقتران العلم بالعمل

يقول الحسن –رحمة الله عليه–: "أدركت الناس وهم يَزِنُون الرجال بالعمل لا بالقول"، وقال أبو الدرداء –رضي الله عنه–: "ثلاثة من علامات الجهل، العجب بالعمل.." بعد ما يخلص صلاة التراويح يقول ده أنا بصلي في مسجد بجزء، ويُعْجَب، "العجب بالعمل، وكثرة الكلام فيما لا يعني، ومخالفة القول للعمل".

ثلاثة من علامات جهل الإنسان، العجب بالعمل؛ لإن حال المؤمن بعد العمل منكسر خايف أنه لا يُقبل فدايمًا بيدعي إن ربنا يقبل منه العمل.

2. كثرة الكلام فيما لا يعني، أنا اتنين بيتكلموا في موضوع أنا بأتدخَّل وبتكلم وخلاص.

وأما الأمر التالت فهو مخالفة قولك لعملك.

وكان محمد بن القاسم –رحمة الله عليه– يقول: "أدركت سلف هذه الأمة.."، القاسم بن محمد هو القاسم بن محمد بن أبي بكر، كان من كبار التابعين –رحمة الله عليه–، وكان من الفقهاء السبعة اللي كان بيُشار إليهم بالبنان، الفقهاء السبعة، منهم القاسم بن محمد، قال: "أدركت سلف هذه الأمام وهم يعتنون بالعمل لا بالقول".

العلم بدون عمل أسوأ من الجهل

مشكلة الناس في هذا الزمان إن الناس اهتمت جدًّا بالكلام وضيَّعت العمل وهي دي المصيبة، يا أحبابي أنا هسألكم الآن سؤال، أقل واحد فينا الآن سمع كام خطبة؟ وسمع كام درس، المصيبة الأولى أنه يعلم ولا يعمل، ويا ليته جَهِل، يعني يا ليته جَهِل، كان علي بن أبي طالب –رحمة الله عليه، ورضي الله عنه– يقول: "ويل لمن لم يعلم ولم يعمل، ثم ويلٌ سبعين مرة لمن علم ولم يعمل"، تاني؟ بيقول: "ويلٌ لمن لم يعلم ولم يعمل، و ويلٌ سبعين مرة لمن علم ولم يعمل".

مَثَلُ علمٍ لا يُعمَلُ به كمثلِ كَنزٍ لا يُنفَقُ منه في سبيلِ اللهِ

أنا هسألكم سؤال بسيط خالص، أنا راجل ربنا –سبحانه وتعالى– وسَّع عليَّ في المال، وعندي في البنك ملايين مُمَلْيَنَة، وعندي أراضي ما شاء الله لا قوة إلا بالله، وهذا المال أنا عاينه في البنك بَصْرِف بيه على زوجتي وأولادي، ولا أُخْرِج زكاة هذا المال، السؤال: هل أنا إنسان عليَّ وِزْر؟

إنتوا اللي تجاوبوا هل أنا إنسان عليَّ وزر؟ ده يقينًا، ده المال اللي إنت مكنِّزه ده تُكْوى بيه يوم القيامة، "وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا

جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ" التوبة:34،35. في الصحيحين من حديث أبي هريرة أن النبي قال:

"ما مِن صاحبِ ذهَبٍ ولا فِضَّةٍ، لا يؤدِّي منها حقَّها، إلَّا إذا كان يومُ القيامةِ، صُفِّحَتْ له صَفائحُ مِن نارٍ، فأُحْمِيَ عليها في نارِ جهنَّمَ. فيُكوى بها جَنْبُه وجبينُه وظَهْرُه. كلَّما بردَتْ أُعيدَتْ له. في يومٍ كان مِقدارُه خمسين ألفَ سنةٍ. حتَّى يُقْضى بينَ العِبادِ. فيرى سبيلَه. إمَّا إلى الجنَّةِ وإمَّا إلى النَّارِ..." صحيح مسلم.

يِفْضَل ده حاله لحد ما ربنا يخلّص حساب كل البشر، ثم بعد ذلك ييجي على الإنسان اللي كنّز ده، على الإنسان اللي كنّز الفلوس وما طلعش زكاتها، نبدأ بقى نشوف هو هيروح جنة ولا نار، صح ولا أنا غلطان؟

طيب النبي –صلّى الله عليه وسلم– يقول لنا:

"مثلُ علمٍ لا يُعمَلُ به كمثلِ كَنزٍ لا يُنفَقُ منه في سبيلِ اللهِ عزَّ وجلَّ" إسناده موقوف لا بأس به.

أنا عندي علم ياما سمعت خطب، وياما سمعت دروس، وياما سمعت أسطوانات، وياما قعدت قُدَّام التليفزيون، قُدَّام المشايخ، ياما اتعلمت، ومع ذلك أنا بعيد عن العمل، تكون النتيجة إن نفس ما كان في عقوبة للراجل اللي عنده فلوس ما طلعش زكاتها، فيه عقوبة للإنسان اللي ربنا إدَّاله علم وما أدَّاش العمل بتاعه..

الكلام ده مش للعلماء ولا للدعاة بس، دا الكلام ده لينا كلنا، النبي لا يتكلم الآن على العلماء ولكن بيتكلم علينا كلنا، علم لا يُعمل به، كم حصَّلت من العلوم؟ وإنت كم حصَّلْتَ من العلوم؟ علم لا يُعمل به ككنز لا يُنفق في سبيل الله، عقوبة ده هو عقوبة ده، نسأل الله–سبحانه وتعالى– السلامة.

المقياس الحقيقي عند الله.. ماذا عملنا بعلمنا

فأول حاجة لازم نفهمها كويس جدًّا إن أنا مقياسي أنا و وزني أنا عند الله مش بكثرة علمي، ولكن بمزيد من العمل، علشان كده ربنا قال لنا خُدوا بالكم من حاجة، إن يوم القيامة أنا مش هسألكم إنتوا حضرتوا كام خطبة، ولا حضرتوا كام درس، ولكن أنا هسألك –ولازم نفهم الكلام ده يا جماعة–، أنا هسألك كم مرة اتعلمت وكم مرة عملت، و "ويلٌ ثم ويلٌ سبعين مرة –كما قال علي رضي الله عنه– لمن علم ولم يعمل".

النبي قال لنا: "لا تزولُ قدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسألَ عن أربعٍ:.." عن عمره، عن شبابه، عن ماله، ثم يُسأل: "..وعن علمِهِ ماذا عمِلَ بهِ؟.." صححه الألباني.

مش هيقول لك إنت قرأت كام كتاب، ولا هيقول لك إنت درست على إيد كام شيخ، ولا هيقول لك سمعت كام درس ولكن هيقول لك إنت علمت؟ آه، عملت؟ لأ، "ويلٌ ثم ويلٌ ثم سبعين ويل لمن ترك العمل"، كما قال علي رضي الله عنه.

احذر أن تكون كأحبار أهل الكتاب.. عالِم جاهل

سيدنا أبو الدرداء بيقول لنا اللي يكون عنده علم وما عملش ده جاهل ده مش عالِم، ده "جاهل لا يعرف قَدْر الله عز وجل، وحاله كحال أهل الكتاب من قبلنا"، مش ربنا قال لنا: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ" البقرة:146. أنا ممكن عارف آه أخونا أول مرة أشوفك في المسجد، بس يا دوبك عارف اسمك وإنت منين، بس معرفتي بحسين أقوى، عارفه بقالي أكتر من تسع عشَر سنين أهو، فعارف عنه كل حاجة، إنما معرفتي بابني أقوى بكتير جدًّا..

فأقوى المعارف تكون لألصق الناس بيك، فربنا بيقول لنا اليهود كانوا عارفين النبي زي ما هُمَّ عارفين أولادهم، ومع ذلك كذبوا النبي، وكفروا بيه، السؤال: هل معرفتهم إن هو ده النبي تنفعهم؟ لأ، وهكذا أيضًا العلم معك لا ينفعك إلا إذا صُوحِب بالعمل.

هل تتحمل أن يكرهك الله؟ .. هل تتحمل أن تكون كالحمار؟

الأخطر، دي درجة، درجة إنه عنده علم وماعملش، في درجة أسوأ منها، درجة إنه يكون عنده علم ويخالف هذا العلم، درجة إنه يكون عنده علم ويخالف هذا العلم، زي ما بعض الناس مثلًا، الله –سبحانه وتعالى–لما قال: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ" الصف:2،3.

سبب نزول هذه الآيات إن الصحابة قعدوا يقولوا للنبي عايزين نجاهد، عايزين نجاهد، عايزين نجاهد، فلما كُتب الجهاد نكث البعض، البعض خَد جنب، قام ربنا –سبحانه وتعالى– منزِّل لهم الآية، قعدتوا تقولوا جهاد، جهاد، جهاد، آدي قَوْلكم لما قلت لكم يلا تجاهدوا البعض نكص..

فقال: "كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ" والمقت: شدة الكراهية، فذَمَّ الله –عز وجل– هؤلاء؛ لأن قولهم خالف فعلهم.

وقال الله –سبحانه وتعالى–: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً" الجمعة:5، الإمام الرازي وهو بيفسر هذه الآية بيقول ليه ربنا –سبحانه وتعالى– اختار الحمار؟ قال لك "لأنه من أبلد الحيوانات، وده مثل سيء ضربه الله –سبحانه وتعالى– لمن كان عنده علم، ولا يعمل".

تيجي تنصح واحد: اللي إنت بتعمله ده غلط، عارف، عارف، عارف خلاص، سبحانك يارب تعلم وما تعملش!! ده النبي –صلّى الله عليه وسلم– قال:

"يُجاءُ بالرَّجلِ يومَ القيامةِ، فيُلْقى في النَّارِ، فتَنْدلِقُ أقْتابُه، فيدُورُ بها كما يدورُ الحِمارُ بِرحاهُ، فتجتمِعُ أهلُ النَّارِ عليه، فيقولُون: يا فلانُ ما شأنُك؟ إنت كنت بتقول لنا ده صح وبتقول لنا ده غلط ألستَ كُنتَ تأمرُ بالمعروفِ، وتَنْهى عن المُنكرِ؟ فيقولُ: كنتُ آمرُكُم بالمعروفِ ولا آتِيه، وأنهاكُم عن الشَّرِّ وآتِيه" صححه الألباني، وتخيل قُبْح المنظر..

وتخيل عايزك بقى تربط بين الحديث ده، وبين الآية: "مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً"، وبين هذا الحديث اللي النبي بيقول لك أقتابه وقعت منه ويدُور حولها كما يدور الحمار بردو، كما يدور الحمار برحاه،

ليس هذا أبدًا من هَدْي المؤمن، بل كانوا يقولون إن الله –عز وجل– جعل لكل علم زكاة، وزكاة هذا العلم إنك تعمل بيه.

يا أحبابي لا يوجد إنسان مننا على وجه الأرض يتحمل في يوم من الأيام أن يكرهه الله –سبحانه وتعالى–، ده أنا لو في يوم من الأيام كرهت ولد من ولادي، ده أنا هطرده من البيت، ولا أديله فلوس ولا أعمل ولا أسَوّي، ده دي عقوبة البشر للبشر، فتخيل بقى لما تكون عقوبة من الله –عز وجل– للبشر، "كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ"، حد يجيبلي نفس المعنى ده في أي آية تانية في القرآن، مفيش، هي دي لأقوام خالفوا بين القول والعمل.

موقف الإمام الشافعي من العلم وتطبيقه

أحبابي لازم ننتبه كويس جدًّا إن كل حديث بتسمعه، كل آية بتسمعها، إنت مُطالَب بالعمل بيها، و ده اللي إحنا محتاجين نعمله.

أختم بهذا الموقف، الإمام الشافعي كان له مذهب وهو في أرض العراق، كان له مذهب كان عالِم بقى ويُشار إليه بالبنان، محمد بن إدريس الشافعي، كان له في العراق مذهب، لما جه مصر وسمع الحديث من أهل الحديث هنا في مصر وجد إن أغلب الأحاديث اللي هو سمعها تخالف رأيه وقَوْله اللي كان بيقول به في العراق، فهدم ده تمامًا وأنشأ، حتى يقول لك إيه قاله الشافعي في المذهب الجديد، لما اتعلم جديد، عرف أحاديث جديدة قام واخدها وبدأ يطبَّق بيها، وبدأ يعمل بيها، ليه؟ ما ينفعش أعرف حديث وما أطبقهوش.

عشان كده لما خرج عليه واحد في يوم من الأيام بيسأل الإمام الشافعي في مسألة فبيقول له قال النبي –صلّى الله عليه وسلم– فيها كذا، قال ولكن فلان –عالِم يعني– قال فيها كذا، قال: أرأيتني خارجًا من كنيسة؟ أرأيت في وسطي زِنَّارًا؟ اللي هو الحزام اللي بيلبسه القساوسة، أرأيت في وسطي زِنَّارًا؟ أقول لك قال رسول الله وتقول لي قال فلان؟ خلاص ثبت الحديث، ده ديني، ده مذهبي، ده علمي، ده عملي.

أحبابي، لازم كويس جدًّا نركز في المعنى ده، حرام عليك إنك يُخالَف بين قولك وعملك، المؤمن الاتنين معاه مع بعض، العلم والقول ماشيين مع بعض إن شاء الله.

أسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القَوْل فيتبعون أحسنه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36